# ٣ ـ حسن البنـــا

## الرجل القرآنى

بقلم روبير جاكسون

للاستاذ أنور الجندى

... فى الأزقة (١) الضيقة ، فى أحشاء القاهرة ، فى حارة الروم ، وسوق السلاح وعطفة نافع ، وحارة الشماشرجى . . بدأ الرجل يعمل ، وتجمع حوله نفر قليل ؛ وكان حسن البنا الداعية الأول فى الشرق ، الذى قدم للناس برنامجا مدروسا كاملا ، لم يفعل ذلك أحد قبله ؛ لم يفعله جمال الدين ولا محمد عبده ، ولم يفعله زعماء الأحزاب والجماعات التى لمعت أسماؤهم بعد الحرب العالمية الأولى . .

. . وأستطيع بناء على دراساتى الواسعة أن أقول إن حياة الرجل وتصرفاته كانت تطبيقا صادقا للمبادئ التى نادى بها

وقد منحه « الإسلام » كما كان يفهمه ، ويدعو إليه ، حلة متألقة ، قوية الأثر فى النفوس ، لم تتح لزعماء السياسة ولا لرجال الدين !

لم يكن من الذين يشترون النجاح بثمن بخس ، ولو بجعل الواسطة مبررة للغاية ، كما يفعل رجال السياسة ، ولذلك كان طريقه مليئا بالأشواك ، وكانت آية متاعبه أنه يعمل فى مجرى تراكمت فيه الجنادل والصخور ، وكان هذا مما يدعوه إلى أن يدفع أتباعه إلى التسامى وبدفعهم إلى التغلب على مغريات عصرهم ، والاستعلاء على الشهوات التى تزعم بسفن النجاة فتحول دون الوصول إلى البر

كان يريد أن يصل إلى الحل الأمثل ، مهما طال طريقه ، ولذلك رفض المساومة ، ولفى من برنامجه أنصاف الحلول ، وداوم فى إلحاح القول بأنه لا تجزئة فى الحق القدس فى الحرية والوطنية والسيادة . . وكان هذا مما سبب له المتاعب والأذى

واستدعى بعض من حوله النمرة ، وعجزت أعصابهم عن أن تقاوم المرير ، فسقطوا فى منتصف الطريق ومضى الركب خفيفا

كان يؤمن بالواقعية ويفهم الأشياء على حقيقتها ، مجردة من الأوهام ، وكان يبدو — حين تلقاه — هادئا غاية الهدوء وفى قلبه مرجل يغلى ، ولهيب يضطرم ؛ فقد كان الرجل غيورا على الوطن الإسلامى ، يتحرق كلما سمع بأن جزءاً منه قد أصابه سوء أو ألم به أذى ، ولكنه لم يكن يصرف غضبته — كبعض الزعماء — فى مصاوف الكلام أو الضجيج أو الصياح ، ولا ينفس على نفسه بالأوهام ، وإنما يوجه هذه الطاقة القوية إلى العمل والإنشاء والاستعداد لليوم الذى يمكن أن تتحقق فيه آمال الشعوب

وكان فى عقله مرونة ، وفى تفكيره تحرر ، وفى روحه إشراق ، وفى أعماقه إيمان قوى جارف

وكان متواضعا تواضع من يعرف قدره ، متفائلا ، عف اللسان ، عف القلم ، يجل نفسه من أن يجرى مجرى أصحاب الألسنة الحداد

* * *

كان مذهبه السياسى أن يرد مادة الأخلاق إلى صميم السياسة بعد أن نزعت منها ؛ بعد أن قيل إن السياسة والأخلاق لا يجتمعان

وكان يريد أن يكذب قول تاليران « إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقية » فقد كان ينكر أن يضلل السياسى ساميه أو أتباعه ، أو أمته

وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ، ورجل الشارع ، فوق خداع السياسة ، وتضليل رجال الأحزاب

ولأول مرة خاطب الجماهير زعيم بما يفتح العيون على الحقائق ، ووضع دعوته على المشرحة ، وقبل أن يسأل عن أدق الأشياء فيها وفى حياته الخاصة ، فقد كانت توجه إليه عقب «أحاديث» الثلاثاء قصاصات ، فيها أسئلة غاية فى الإحراج ،

(١) لم يذكر الكاتب أن دعوة الإخوان بدأت فى الاسماعيلية

ولكنه كان يجيب عنها فى منتهى البساطة والوضوح

وكأنما أراد أن ينشئ للشرق روحا جديدة من المثل العليا ، هذه المادة الضائعة ، التى هزم بها الشرق الدنيا وفتح باب أطراف الأرض ، كان يريد أن ينشئ القوة التى تصمد فى وجه الخطرين الداهمين اللذين يهددان العالم وهما : الإلحاد والاستعباد

كان يريد أن يجعل من الإسلام قوة تدفع الشيوعية الضالة ، والرأسمالية الزائفة ، وكان يطمع فى أن يرفع الإسلام ويسمو به عن أن يكون خادما للاستعمار باسم الديمقراطية ، أو للشيوعية باسم الاشتراكية ، وإنما كان يرى الاسلام نظاما كاملا فوق الشيوعية والديكتاتورية والرأسمالية جميعا

* * *

وقد استطاع الرجل — رغم كل ما دبر لوضع حد لدعوته أو حياته — أن يعمل ، وأن يضع فى الأرض البذرة الجديدة ، بذرة المصحف ، البذرة التى لا تموت بعد أن ذوت شجرتها القديمة ، ولم يمت الرجل إلا بعد أن ارتفعت الشجرة فى الفضاء واستقرت

ولن يستطيع مصلح من بعد ، أن ينكر أن الرجل رفع من طريقه الكثير من العقبات والأشواك والصخور

وكل حركة إصلاحية أو استقلالية تظهر فى الشرق من بعد ، سواء فى مصر أو فى المغرب أو فى إندونيسيا ، يجب أن يلاحظ فيها ذلك الخيط الدقيق الذى يربطها بالرجل القرآنى ، الذى حمل المصحف ووقف به فى طريق رجال الفكر الحديث الذين كانوا يسخرون من ثلاث كلمات : « شرق ، وإسلام ، وقرآن »

كان الرجل يريد أن يقول آن للشرق أن يمحص أفكار الغرب قبل أن نعتنقها ، بعد أن غدت الحضارة فى نظر أصحابها لا تتوفى بما يطلب منها ، كان يقول علينا أن نوزن هذه القيم ، وأن نثق بأنفسنا ، وأن نعتقد أن ما عندنا لا يقل عما عند الغرب أو على الأقل لا يستحق الإهمال

وأن على الشرق أن ينشئ للدنيا حضارة جديدة ، تكون أصلح من حضارة الغرب ، قوامها امتزاج الروح بالمادة واتصال السماء بالأرض

وما كنت تعرض لأمر من أمور الحضارة الغربية ، إلا رده إلى مصادره الأولى فى الحضارة الإسلامية ، أو فى القرآن والسنة والتاريخ

كان الرجل القرآنى يؤمن بأن الاسلام قوة نفسية كامنة فى ضمير الشرق ، وأنها تستطيع أن تمده بالحيوية التى تمكن له فى الأرض وتتيح له الزحف إلى قواعده واستخلاص حقوقه وحرياته

كان يؤمن بأن الشرق وحدة كامنة كاملة ، لو تخلص من مناورات الساسة ومن خلاف الطامعين ، لقاوم وصارع

تبحث صلة

أنور الجندى


# دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات بك

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل عرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة . . . الخ .

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك . . . الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشا عدا أجرة البريد